قراءة في كتاب

«الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة»

د. محمد بنمعمر

مُلَخّصُ البَحْث

كتاب غزير الفائدة يدل على تبحر مؤلفه في علـم الرجال، كتبه سنة(644هـ) وهـو في الأسر عند النصارى الإسبان، وهذّبـه ونقّحـه بعـد فكاكـه على يـد أمـير منورقـة أبي عثمـان سعيد القرشي في العام المـوالي تنـاول فيـه نـسب النـبي صـلى الله عليـه وسـلم وأصحابه العشرة وهم الخلفاء الأربعة زائد الزبير بن العوام وطلحـة بـن عبـد الله وابـن عوض وابن أبي وقاص....

الباحث في سطور

الدكتور محمد بن معمر Benmammar2005@yahoo.fr

- من مواليد 1962 بصبرة تلمسان.
- أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي.
- رئيس قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- رئيس فرقة بحث في مختبر مخطوطات الحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- عضو اتحاد المؤرخين الجزائريين، وغيرها من الخبرات العلمية.
- له العديد من المداخلات الوطنية والدولية، ومشاركات في تنظيم الملتقيات الوطنية والدولية.

له العديد من الإنتاجات العلمية المنشورة منها:

- رحلة المقري إلى المغرب والمشرق لأبي العباس أحمد المقري، دراسة وتحقيق.
- تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي، دراسة وتحقيق.
- القضاء والقضاة على عهد المرابطين والموحدين.
- منهج ليفي بروفنسال الاستشراقي في تحقيق تراث الغرب الإسلامي.

مُقدّمة

إن لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفات مميزة وسمات بارزة يُعرفون بها، فهم ذلك الجيل الموصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر البشر. لقد حملوا عبء الرسالة، وبهم أظهر الله الإسلام وأعلى كلمة الحق، وهم الذين بذلوا الأموال والأنفس رخيصة في سبيل نصرة هذا الدين، وأعلوا كلمة لا إله إلا الله في كل مكان، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والتضحية والفداء، وصلابة العقيدة ورسوخ اليقين، فكانوا مُثلاً عليا للمسلمين في كل زمان ومكان.

وهذا ما يؤكّده ابن مسعود في حق أبناء جيله من الصحابة حين قال: «من كان منكم متأسّيا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنّهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها تكلّفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(1).

ولأنّ الله أثنى عليهم، ونبيه مدحهم وأكثر مدحهم، فإنّ علماء الأمّة قد أجمعوا على وجوب محبتهم والاعتراف بعدالتهم والتّأسّي بهم والدّفاع عنهم. ولم يكن علماء الغرب الإسلامي أقل عناية بالصحابة الكرام من نظرائهم المشارقة، فقد اهتموا بسيرهم وآثارهم، وانبروا للدّفاع عنهم، واجتهدوا في نظم الأشعار ووضع المصنّفات والمدونات المخلّدة لأسمائهم وأنسابهم وحميد سيرهم ومناقبهم.

ومن تلك المصنّفات: كتاب فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم لأبي عبد الرحمن بقي ابن مخلد، وكتاب كنى الصحابة والتابعين وسائر المحدثين لأبي القاسم خلف بن قاسم

---

(1) السيرة النبوية الصحيحة (2/ 669).

المعروف بابن الدّبّاغ، وكتاب المصابيح في فضائل الصحابة لأبي المطرّف عبد الرحمن بن فطيس، وكتاب أسماء الصحابة والرواة لابن حزم الأندلسي، وله أيضا كتاب أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا، وكتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة لأبي عمر يوسف المعروف بابن عبد البر، واختصار الاستيعاب لابن سميرة أحمد بن محمد الفهري، واقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار لأبي محمد عبد الله الرّشاطي، والاكتفا بما تضمنه من مغازي الرسول ومغازي الثلاثة الخلفا لأبي الرّبيع بن سالم الكلاعي، وغيرها من المصنفات، وكتاب الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة، وهو المصنّف الذي وقع عليه الاختيار من أجل تقديمه ورقة علمية في هذه النّدوة.

❁ مؤلف الكتاب

اسمه الكامل أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبُرّي (596 ـ 681هـ)، وشقي[1] الأصل، وهو أخو الفقيه أبي إسحاق إبراهيم[2] وكبيره. أخذ العلم ببلده تلمسان عن أبي عبد الله التجيبي، وابن عبد الحق، ثم دخل الأندلس ودرس على أبي بكر بن محرز، وأبي الحسن سهل بن مالك، وأبي الرّبيع

(1) وشقة مدينة حصينة لها سوران من صخر بينها وبين مدينة سرقسطة خمسون ميلا شرقا منها، ينسب إليها جماعة من العلماء منهم سعيد بن سعيد المرادي. الرّشاطي أبو محمد، اقتباس الأنوار (ص93).

(2) نزيل سبتة، والمتوفى بها سنة 697هـ، كان فقيها عارفا بعقد الشروط، مبرزا في العدد والفرائض، أديبا شاعرا ماهرا. وهو صاحب الأرجوزة الشهيرة في الفرائض، نظمها وهو ابن ثمان وعشرين سنة، لم يُصنّف في فنّها مثلها كما يقول مترجموه. انظر ترجمته عند: ابن الخطيب، الإحاطة: (1/ 168) وما بعدها. ابن فرحون، الديباج المذهب(1/ 274). المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين(ص291،531).

ابن سالم، وابن الأبّار، وأبي المطرف ابن عميرة المخزومي، وبجزيرة منورقة على أبي عثمان سعيد بن حكم وغيرهم من شيوخ عصره[1].

وبعد حياة الدّرس والتحصيل، أقبل على تدريس العلم والاهتمام به والتأليف في حقوله المعرفية، حتى صار فقيها مؤرّخا نسّابة، وهو ما أجمله ابن عبد الملك، الذي انفرد بترجمته الأساسية، في العبارة التالية: «كان معتنيا بالأنساب والحفظ لها، ذا مشاركة في الحديث ورجاله، وحظ من النظم»[2].

ومن مؤلفاته، سوى الجوهرة، كتاب العمدة في ذكر النبي ﷺ والخلفاء بعده، الذي قال عنه:

هـذا كتـاب العمـدة للذّكـر خيـر عـدّة
مـشرف فـي مـلإ مؤنـس فـي وحـدة

وكتاب العدّة، وقد اختصره من الكتاب المذكور وقال في شأنه أيضا:

الحمـد لله عـل عونـه في وضـع هـذا الجـامع المختـصر
مـا أعظـم النفـع بـه لامـرئ على اطـلاع لـيس فيـه قـصر

وكتاب فريدة اللآلي، وهو رجز مختصر لسير ابن إسحاق وابن هشام[3]. وله أيضا أشعار كثيرة مدح فيها حاكم منورقة أبي عثمان سعيد، ورد بعضها في مقدّمة كتاب الجوهرة، والبعض الآخر في مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر لابن المرابط[4]. إلى غير ذلك من مصنفاته كما يقول ابن عبد الملك.

(1) صلة الصلة: القسم 3 (ص 42).
(2) الذيل والتكملة: السفر 8/ القسم 1 (ص 280).
(3) نفسه (ص281).
(4) زواهر الفكر وجواهر الفقر: الورقات (177 ـ 182).

وكان المؤلف ممن امتُحِن بذلّ الأسر في يد النصارى سنة 644هـ، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتاب الجوهرة، وأكّده ابن عبد الملك قائلا: ودخل ثغر منورقة[1] أسيرا[2]. ولم نجد في المصدرين المذكورين ما يساعدنا على معرفة أسباب وظروف ومدّة هذا الأسر، ولكن من المعروف أنّ من أبرز نتائج انهيار سلطان الموحدين في الأندلس، هو استيلاء النصارى على المدن الأندلسية وتشريد أهلها من المسلمين عن أوطانهم أو إخضاعهم. وقد ظهر هناك اتجاهان بين المسلمين في الأندلس يومئذ: الأول سكن أصحابه إلى النصارى ومالوا إليهم ورضوا بحكمهم، تمسكا بوطنهم وخوفا من الغربة ومكاره السفر فسُمّوا بالمدجّنين أو أهل الدّجن. والثاني رفض أصحابه حكم النصارى ففضلوا المقاومة والتشرد عن أوطانهم والهجرة إلى بلاد الإسلام في المشرق والمغرب، أو الوقوع في الأسر[3].

(1) ثانية جزر البليار من حيث المساحة التي تبلغ حوالي 700 كلم مربع، ويصل طولها إلى حوالي 48 كلم ومتوسط عرضها حوالي 16 كلم. وهي تبعد عن جزيرة ميورقة بحوالي 40 كلم شرقا. وقد اشتهرت بخصوبتها وكثرة الزرع والكروم والأبقار، وهو ما يشير إليه الزهري قائلا: «ومما يلي هذه الجزيرة (ميورقة) في الشرق جزيرة منورقة، وهي صغيرة كثيرة الزرع والكرم وليس في معمور الأرض أطيب من لحم بقرها، ولقد يطبخ فيذوب كما يذوب الشحم ويصير زيتا، والغنم فيها قليلة». ويضيف ابن سعيد قائلا: «وهي مستطيلة قليلة العرض وفي وسطها حصن مانع». وهو يشير بالحصن المانع إلى القلعة التي مازالت حتى اليوم في منتصف الجزيرة على قمة جبل مونت تورو ويطلق عليها الإسبان اسم قلعة الملك. وجاء عنها في الروض المعطار:«جزيرة تقابل برشلونة بينهما مجرى وبينها وبين سردانية أربعة مجار وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة». استولى عليها ألفونسو الثالث ملك أرغون سنة686هـ/ 1287م. الزهري، الجعرافية (ص129). المغرب(2/ 129). الروض المعطار(ص549).

(2) الذيل والتكملة (ص281).

(3) انظر فتوى الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957م، مج 5، العدد 1 ـ 2، (ص 129-191).

وفي سنة 645هـ كان فكاكه من الأسر على يد الأمير أبي عثمان سعيد بن حكم[1] الذي آل إليه حكم جزيرة منورقة، بعد سقوط ميورقة، مدة ثلاثين سنة(630ـ680هـ). وقد اشتهر هذا الأمير، الذي اكتسب ثقة ومحبة أهل منورقة وملك قلوبهم بحكمته ودهائه، بسمعته الطيبة خارج الجزيرة، التي أصبحت في عهده الملجأ الأمين للكثير ممن عصفت بهم الهزائم، وشرّدتهم عن أوطانهم بالأندلس. وإلى جانب استقباله لهؤلاء اللاجئين وإيوائهم، سواء أولئك الذين قدموا من ميورقة أم من مدن الأندلس الأخرى، فإنّ يده قد امتدت إلى تحرير الأسرى منهم، حيث افتكّ عددا كبيرا من هؤلاء. وهذه شهادة أحد معاصريه يقول فيها: «فكم لقيت بأقطار المغرب والمشرق من أديب، أو شاعر أو حسيب، خلع عنه رِبقة الإسار، ونقله إلى قرارة الإسلام عن محلّة الكفار»[2].

وكان مؤلف الجوهرة واحدا من هؤلاء، وقد عاش بعد تحريره في ظلّ الدّعة والخصب بجزيرة منورقة مشتغلا بخطة الكتابة عند صاحبها، وهو ما ذكره ابن الخطيب الذي نقل خبرا مرويا عنه، بواسطة ابن أخيه أبي الحسين التلمساني، يتصل بسيرة حاكم منورقة المذكور، حين قتل رجلا عقابا على شرب الخمر، فاحتج على هذا العمل المحدّث ابن مفوّز وأنكره لمخالفته الشرع، وكان قد اجتلبه الأمير للرّواية عنه وسماع كتاب البخاري عليه، فبرّر ابن حكم ذلك قائلا: يا فقيه هذه الجزيرة كثيرة العنب، والناس يشربون الخمر بها ويسكرون، فيضيّعون الاحتراس، فيظهر علينا العدو. ولكن الفقيه ابن مفوز لم يقتنع بهذا التبرير وأصرّ على أنّ ذلك غير جائز، لأنّ

---

(1) انظر زواهر الفكر وجواهر الفقر والحلة السيراء (2/ 318)، واختصار القدح (ص 28) وما بعدها، والذيل والتكملة (4/ 28) وما بعدها، وعنوان الدراية (ص254).

(2) اختصار القدح (ص28).

الشريعة لم تترك شيئا من موازين صلاح الدنيا والآخرة إلاّ أعطته حقّه كما قال، ثم انصرف عنه[1].

⊛ كتاب الجوهرة في نسب النبيﷺ وأصحابه العشرة

بداية، ينبغي ألاّ يشتبه علينا هذا الكتاب بكتاب آخر يحمل العنوان نفسه لمؤلّفه أبي البركات عبد الرحمن بن محمد كمال الدين المعروف بابن الأنباري المتوفى سنة 577هـ، صاحب المصنفات الكثيرة، الإمام المناظر الفقيه الغزير العلم[2].

ألّف البُرّي كتاب الجوهرة[3] سنة 644هـ في ظروف صعبة أشار إليها في مقدمة الكتاب، وهي ظروف الأسر التي تطرقنا إليه قبل قليل في ترجمته. وقد عبّر عن هذه الأجواء قائلا: «ولم أقدر على إصلاح ما وقع فيه من غلط لِما كان يشغلني عنه في الأسر من ذل وامتحان، فلو أتيت فيه خطابة قُسّ لأخرس رعبه عن وضع كلمة مع أخرى»[4]، وكان الفراغ من التأليف يوم الجمعة 25 ذي الحجة من السنة المذكورة.

---

(1) أعمال الأعلام (القسم الأندلسي) (ص276).

(2) عن ابن الأنباري ومصادر ترجمته انظر الوافي بالوفيات (18/ 148).

(3) حقق الدكتور محمد التونجي الفصل الخاص بالإمام علي من هذا الكتاب، ونشرته مكتبة النوري بدمشق سنة 1982. كما نشرته دار الجيل ببيروت سنة 1993. ثمّ قام التونجي بتحقيق الكتاب كاملا وطُبع في مجلدين بدار الرفاعي بالرياض سنة 1984. ولكن المحقق لم يقف على أيّ شيء فيما يتعلق بمؤلف الكتاب كما قال. أما النسخة التي اعتمدها في التحقيق فهي نسخة بخط المؤلف وهي فريدة في العالم موجودة بمكتبة جامعة بنغازي، سقطت منها فاتحة المقدمة، وطُمِسَت منها كلمات وعبارات في مواضع كثيرة جدّا.

(4) الجوهرة (ص2).

ولما تحرّر من الأسر عاد فهذب الكتاب ونقّحه وزاد عليه زيادات حبّرته، وللناظر كالروض أظهرته، فجاء بها رائق المعاني، محكم الرصف والمباني، كما قال[1]. وكان الشروع في تبييض الكتاب في شهر رمضان سنة 645هـ كما قال:

يا رب يسّر علي فيه بالمصطفى أحمد الوجيه

بدأته في أجلّ شهر يسدي أجورا لصائميه

وأتمّه يوم السبت الثامن ذي الحجة من السنة المذكورة.

وبعد تهذيب الكتاب وتنقيحه وتحبيره، وضع مقدمته التي مدح فيها نظما ونثرا محرّره من الأسر أبا عثمان سعيد صاحب منورقة، كما أشاد بخصاله الكريمة ثم أهدى الكتاب إلى خزانته. وفيما يلي نص الإهداء: «وهذا التأليف أهلٌ لخزانة هذا السيد الرّئيس الأرضى، أعزّ الله به الدين وأعلاه، وخير ما أولى عباده الصالحين أولاه، فإنه رضي الله عنه، جلب إليها من العلوم الدينية والمعارف التاريخية والأدبية أعلاقا، وفتح منها بتصحيحه وتنقيحه أغلاقا، تعجز عما حوته المدرسة النظامية ببغداد، وتنيل في الدارين المامول لمن بمعارفها لاذ، ولا يزال بين يديه الكريمتين علم نافع يصلح خلله، وينشر بالرّقم الرّائق حلله، ويوضح ما أشكل منه بنقده الصحيح، وعرفانه المنتخب الصريح[2].

تلك هي عادة أبي عثمان سعيد في شأن الكتب التي ترد إلى مكتبته، فقد كان حريصا على قراءتها ونقدها وتصحيحها قبل فهرستها، وهو ما خضع له كتاب الجوهرة أيضا،

---

(1) الجوهرة (ص3).

(2) نفسه (ص5). وقد وصف ابن عبد الملك هذه الخزانة قائلا: كان أبو عثمان سعيد شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب، حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصودا بها من المسلمين والنصارى. الذيل والتكملة: (السفر 4 ص31).

إذ لما رفعه البرّي إلى خزانته، وكان مشغولا بشؤون الإمارة، لم يتمكن من النظر فيه، فأحاله على كاتبه أبي القاسم بن يامن ليرى رأيه فيه وقال يخاطبه[1]:

عساك تشقه لترى ... منازعه وتختبرا

فإما أن نفهرسه ... وإما أن ترى ونرى

ولم أفرغ لأنظره ... ومثلك من كفى النظرا

لقد جمع البرّي كتاب الجوهرة وانتخبه وانتقاه وهذّبه معتمدا في ذلك على جملة من المصادر المتنوعة، في الحديث، والتاريخ، والسير، والتراجم والطبقات، والأنساب، والأسماء والكنى، والأدب، والشمائل وغيرها. فمن كتب الحديث الصحيحة اعتمد على صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، ومسند الترمذي، إضافة إلى منتقى ابن الجارود[2].

ومن المصادر التاريخية كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. وكتاب التاريخ للحافظ أبي عمرو خليفة بن خياط العُصفُري البصري[3]، المتوفى سنة 240هـ، النسابة الإخباري العالم بأيام الناس، صاحب كتاب الطبقات. وكتاب التعريف بصحيح التاريخ للطبيب القيرواني الحاذق أبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن أبي خالد المعروف بابن الجزار، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وقطعة جميلة من أخبارهم، وهو صاحب كتاب زاد المسافر[4].

---

(1) ابن المرابط، مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر، الورقة (43).

(2) جاء في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس تعليقا على منتقى ابن الجارود: «ولأبي محمد قاسم بن أصبغ (أندلسي) هذا تآليف حسان جدّا، منها كتاب المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى، وهو خير منه وأنقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة». انظر نفح الطيب(3/ 169).

(3) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (13/ 238).

(4) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص481).

ومن المصادر الأخرى، كتاب السّير لابن إسحاق، وكتاب الكنى والأسماء لمسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح، وكتاب صفّين للنسّابة الكوفي الشهير أبي المنذر هشام ابن محمد بن السائب المعروف بابن الكلبي، المتوفى سنة 204هـ، صاحب التصانيف الشهيرة في الأنساب كالجمهرة وغيرها[1]. وكتاب الشريعة للفقيه الشافعي المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرّي، المتوفى سنة 360هـ، صاحب الأربعين المشهورة[2]. وكتاب رياضة المتعلمين للحافظ المشهور أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة 430هـ، صاحب كتاب حلية الأولياء.

ومنها كتاب طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي شيخ الشافعية ومدرّس النظامية ببغداد، المتوفى سنة 476هـ[3]. وكتاب المعارف لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وكتاب النوادر لأبي علي البغدادي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب منتخب نقائض جرير والفرزدق لأبي يعقوب يوسف بن يعقوب النّجيرمي اللّغوي البصري نزيل مصر، المتوفى سنة 423هـ[4].

ولم ينس البرّي الاعتماد على كتب حافظ الأندلس وعالمها، وإمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، وصاحب البسطة الكبيرة في علم النسب، أبي عمر يوسف بن عبد الله الشهير بابن عبد البرّ، المتوفى سنة 463هـ، ومنها كتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة، وكتاب الإنباه على قبائل الرواة، وكتاب التقصّي، الذي قال في حقه أبو عبد الله بن الفخار: ثلاثة كتب هي عندي كسورة القرآن، منها كتاب التقصّي هذا[5].

---

(1) ترجمته في وفيات الأعيان (6/ 82).
(2) انظر ترجمته ومصادرها في الوافي بالوفيات (2/ 276).
(3) انظر ترجمته في البداية والنهاية (16/ 86).
(4) ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان (7/ 75).
(5) الذيل والتكملة: (السفر 6، ص 89).

غالبا ما نجد القدامى يذكرون في المقدّمة الخطة التي يبنون عليها مؤلفاتهم، وهو ما لم يقم به البرّي في كتابه هذا. ولكننا نستنتج من العرض العام للكتاب أنّه قسّمه إلى أربعة أقسام. أما القسم الأول فقد خصّصه لنسب النبي ﷺ من عبد المطلب إلى عدنان، ثم القسم الثاني الذي ذكر فيه سيرته عليه السلام من مولده إلى وفاته ذكرا يفصح عن أصح الآثار ويعرب عن أغرب الأخبار كما قال. وقد استوعب هذان القسمان الجزء الأكبر من الكتاب.

وأما القسم الثالث فقد تناول فيه الخلفاء الراشدين الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، متوسعا في الحديث عن الخليفة الرابع الذي يأتي بعد النبي من حيث الحجم الذي استوعبه نسبه من الكتاب، وقد ختم الكلام عنهم قائلا: لقد ذكرت من صحيح الآثار والأخبار في مناقب الخلفاء الأربعة ما يملأ الآذان حسنا، ويمنح مَن سلك سبيلها الزيادة والحسنى، إذ هم أئمّة الهدى، ومصابيح الدّجى، وأرباب التّقى، وواضحوا سبل سنة نبينا محمد المصطفى، نفعنا الله بمحبتهم وحشرنا في زمرتهم[1]. ويخلص إلى القسم الرابع والأخير الذي خصّصه للستة الباقين من الصحابة.

ولم يكتف البرّي بالنقل من المصادر المذكورة دون تدخل أو تمحيص، بل كان يصحح ويرجّح ويدلّل كلما دعت الضرورة إلى ذلك، مستعملا في الغالب العبارات التالية: قال المؤلف غفر الله له، وأصلحه الله، ووفقه الله لما يرضيه، وعفا الله عنه، وأعزّه الله بتقواه، وشرح الله صدره، وأغناه الله من فضله وما شابه ذلك. فمن ذلك مثلا ترجيحه للرواية القائلة بعدم إلقاء جثة أمية بن خلف في البئر يوم بدر حين قال: الصحيح الذي لا شك فيه أن أمية بن خلف هو الذي تقطّعت أوصاله، لما رواه ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما أمر

---

(1) الجوهرة (ص469).

رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه، فملأه فذهبوا يحركوه فتزايل لحمه، فأقرّوه، وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة[1].

ومن ذلك ما قاله البخاري ومسلم في الصحيحين إنّ سعيد بن المسيّب التابعي الفقيه شهد بيعة الرّضوان تحت الشجرة مع أبيه، ولكن المؤلف يناقضهما ويأخذ برأي أصحاب المغازي الذين ينكرون ذلك فيقول: والدليل على ما قاله الدّارقطني أنّ سعيدا وُلِد في صدر خلافة عمر بن الخطاب، ولا خلاف أنّ والده المسيّب ممن بايع تحت الشجرة[2].

ويقول محققا في سنّ أبي وائل شقيق بن سلمة الذي قال عن نفسه إنّه كان يوم بزاخة (من أيام حروب الرّدة) ابن إحدى وعشرين سنة: كان يجب أن يكون أبو وائل ابن أربع وثلاثين سنة يوم بزاخة على قوله إنّه كان ابن عشر سنين عند البعث، اللهم إلا أن يريد بالبعث الهجرة فحينئذ يصح كونه كذلك، ومما يؤيد أنّه أراد بالبعث الهجرة رواية هشيم عن مغيرة عنه أنه قال: أتانا مصدق النبي وأنا غلام يومئذ، ولو كان عند البعث ابن عشرٍ لم يكن عند أخذ النبي الصدقة غلاما[3].

استهل المؤلف كلامه عن نسب النبي بذكر الشجرة المعروفة التالية: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كِلاب بن مرّة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان. إلى هنا هو النسب الصحيح الذي لا

(1) الجوهرة (ص19).
(2) نفسه (ص47).
(3) نفسه (ص129).

اختلاف فيه بين علماء الأنساب كما يقول المؤلف، مدعما كلامه بأحاديث صحيحة، وأقوال الصحابة كعمر بن الخطاب، وروايات علماء الأنساب كابن الكلبي وغيره. وهذا ما يؤكده ابن حزم حين يقول: فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك، إلاّ أنّ تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جُهِلت جملة، وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح، وأما كلّ مَن تناسل من ولد إسماعيل فقد غبروا ودثروا، ولا يعرف أحد منهم على أديم الأرض أصلا، حاشا ما ذكرنا من أنّ بني عدنان من ولده فقط(1).

وقد وقف المؤلف عند كلّ واحد من أجداد النبي الواردين في الشجرة المذكورة، وبداية من الجدّ الثامن وهو لؤي بن غالب، نجده يتوسّع في موضوع أنساب القبائل العربية وليس قبيلة قريش وحدها التي ينتمي إليها النبي وأصحابه العشرة.

ولم يقتصر المؤلف في كتاب الجوهرة على ذكر نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة حسبما يوحي به العنوان، بل تشعّب فيه إلى الحديث عن غيره من القضايا، سيما وأنّ مسألة النسب قد فصل فيها أثناء تناوله نسب النبي، لأنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتقي في نسبه مع هؤلاء العشرة: مع أبي بكر الصّدّيق في مرّة بن كعب، ومع عمر بن الخطاب في كعب بن لؤي، ومع عثمان بن عفان في عبد مناف بن قصي، ومع علي في عمّه أبي طالب، ومع الزبير بن العوام في قصي بن كلاب، ومع طلحة بن عبيد الله في مرّة بن كعب، ومع عبد الرحمن بن عوف في كلاب بن مرّة، ومع سعد بن أبي وقاص في كلاب بن مرّة أيضا، ومع سعيد بن زيد في كعب بن لؤي، ومع أبي عبيدة عامر بن الجراح في فهر بن مالك(2).

---

(1) جمهرة أنساب العرب(ص7).

(2) نفسه، الصفحات(358، و374، و400، و415، و469، و490، و495، و502، و507، و508).

فهو أثناء تناوله لأجداد رسول الله ﷺ وآبائه الكرام أولي المكارم والمـآثر، من عبد المطلب إلى عدنان، تكلم عن إخوتهم وأعقابهم ومن اشترك معه في النسب من القبائل وذكر البطون منهم والأفخاذ والفصائل، وما انفردوا به من مآثر في الجاهلية والإسلام، ومَن آمن به وصحبه من أبنائهم السعداء، ومَن اشتهر منهم بإيمان أو منقبة في الجاهلية، ومَن بقي على كفره أو قتله عليه الصلاة والسلام على استهزائه في غزواته، والتنبيه على رجال الحديث منهم والتعريف بهم، كلّ ذلك بيّنه كما يجب أحسن البيان بمنتقى المعارف المستجادة، وساقه بليغا موجزا مفيدا غاية الإفادة كما قال(1). ثم انتقل إلى الحديث عن الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، عن أعمامه، وعماته، ووالدته، وأزواجه، وخدمه، ومواليه، وخيله، وكتّابه، وشمائله الكريمة وفضائله العميمة، وحجة الوداع وخبر وفاته.

وبعد ذلك ينتقل إلى الحديث عن الخلفاء الراشدين الأربعة، وأولهم أبوبكر الصّدّيق وأسبقيته في الإسلام، ومكانته بين الصحابة، وأخلاقه، وفضائله ونبذ من أخباره، ودوره في حروب الرّدّة، وموته، وذكر أولاده وعقبه منهم، وهم عبد الرحمن وعبد الله ومحمد، ومن البنات عائشة وأسماء وأم كلثوم.

ثم عمر بن الخطاب وتوليه الخلافة، وما جاء في تقشّفه وتواضعه وجدّه، ومقتله، وأولاده وعقبه منهم. وكذلك عثمان بن عفان وزواجه من بنتي رسول الله، وحصاره ونقمة الناس عليه ومقتله. وآخرهم الإمام علي وما جاء عن أسبقيته في الإسلام ومكانته فيه، وفضائله ومواعظه ووصاياه، وأخباره في تقشفه في لباسه وطعمه، ومقتله على يد الخوارج، وذكر ولديه الحسن والحسين وأحفاده.

---

(1) الجوهرة (ص292).

ويختم الكتاب بالكلام عن الصحابة الستة الباقين من العشرة وهم الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، سالكا في ذلك المنهج نفسه الذي اتبعه مع الخلفاء الراشدين، وهو أن يترجم للصحابي، ثم يذكر أولاده وأحفاده ومواليه، ثم يترجم لكل واحد منهم، مبينا ما له من الرواية في كتب الأحاديث، وما اشتهر به من فنون العلم والأدب، مع ترجمة ما يقع في السند من رجال الحديث، ثم يعود فيذكر فضائل الصحابي ونبذا من أخباره.

يعد كتاب الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، إسهاما علميا كبيرا، وإضافة هامة إلى المكتبة التراثية الإسلامية، سيما ما تعلق منها بالأنساب وفضائل الصحابة. فقد أتيحت للبرّي التلمساني فرصة الاطلاع على ما سبقه من كتب الأنساب والرجال والطبقات والسير والحديث والتاريخ ونحوها، فاستخلص منها هذه الصورة المتكاملة المترابطة، التي خلت من الجفاف الذي يعانيه قارئ كتب الأنساب، ويسّرت للناظر فيه مواصلة القراءة بانبساط، والاستفادة من المعارف الدينية والتاريخية والأدبية ونحوها.



فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأبّار أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف، 1985.
- ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965.
- البرّي محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. تحقيق محمد التونجي. الرياض: دار الرفاعي، 1984.
- البرّي محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة. (الفصل الخاص بالإمام علي)، تحقيق محمد التونجي. بيروت: دار الجيل، 1993.
- إحسان النص، القبائل العربية أنسابها وأعلامها. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000.
- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة. الرياض: مكتبة العلوم والحكم، 1994.
- ابن حزم علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف، 1962.
- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار. تحقيق إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.
- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق يوسف علي طويل. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
- ابن الخطيب لسان الدّين، أعمال الأعلام (القسم الأندلسي)، تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف، 1956.

- ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1971.
- الرّشاطي أبو محمد، اقتباس الأنوار، تحقيق مولينا لوبيز. مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990.
- ابن الزبير أبو جعفر أحمد، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب. الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف بمصر، 1964.
- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، اختصار القدح. تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980.
- الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الثامن، 1984.
- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، السفران الرابع والسادس، 1973.
- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية. تحقيق رابح بونار الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981.
- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب. تحقيق محمد الأحمدي. القاهرة: دار التراث، 1972.

- ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، البداية والنهاية. تحقيق عبد الله التركي. دار هجر للطباعة والنشر، 1997م.
- ابن المرابط المرادي، مخطوط زواهر الفكر وجواهر الفقر. مصوّر بالخزانة العامة بالرباط على شريط تحت رقم 1114.
- المقري أبو العباس أحمد، نفح الطيب. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1968.
- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.
- الونشريسي أحمد بن يحي، أسنى المتاجر. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 1 ـ 2، مج 5، 1957.